مقدمة سلسلة

شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال

تصدر قريبا عن « دار الآداب » سلسلة جديدة بعنوان « شعراؤنا يقدمون انفسهم للاطفال » يكتبها الشاعر سليمان العيسى برؤية جديدة واسلوب مبسط. وننشر فيما يلي مقدمة هذه السلسلة مع نموذج يتضمن حديث أبي تمام الى الاطفال العرب :

سليمان العيسى

أصدقائي الصغار ..

في صباح يوم من أيام الربيع الحلوة ، كنت جالسا على مقعد أخضر من الخشب ، في الحديقة العامة الكبيرة بمدينة حلب ، أقرأ قصيدة رائعة من قصائد الشاعر المحارب أبي فراس الحمداني ، وأنا غير بعيد عن تمثاله الرشيق البديع الذي أقيم في أبرز مكان من الحديقة تخليدا لذكراه .

وشغلتني القصيدة عما حولي من مناظر جميلة ، وأشجار باسقة ، وكبار وصغار يملؤون المتنزه الواسع ، رائحين فيه غادين .

وفجأة ... رأيت بلبلا تنعكس على ريشه أبدع ألوان الطبيعة ، يهبط من الشجرة المجاورة ، ويحطّ على طرف المقعد الخشبي ، الى جواري ، كأنه صديق قديم ، يعرفني وأعرفه منذ أمد بعيد . ورفعت بصري عن الكتاب الذي بيدي . والتفتّ بهدوء الى هذا الجار الجديد الذي وقف الى جانبي . وأخذ يحرك رأسه الصغير ، وذيله الاصفر برشاقة آسرة ، كأنما يريد أن يتحدث اليّ .

ولا بد أن أعترف ، يا أصدقائي الصغار ، اني لم أشهد عصفورا قبل اليوم يقترب من أحد في بلدي ، دون أن يخاف ، لاننا لم نعوّد هذه المخلوقات الحلوة الصغيرة حتى الآن كيف تصبح صديقة لنا ، ونصبح أصدقاء لها . ولا بد أن نتعلم ذلك في يوم من الايام . ولذلك مددت يدي بهدوء الى البلبل الجميل ، وداعبت ريشه الاصفر ، وأنا أخشى في كل لحظة أن يفر هاربا الى مكان بعيد . ولكنه لم يهرب ولم يحاول ذلك . وانما أخذ يضرب ظهر يدي بمنقاره اللطيف . كأنه يبادلني الود والدعابة . وتمنيت ، في تلك اللحظة ، لو كان معي شيء من فتات الخبز أو الحب أطعمه اياه . ولكني لاحظت انه لم يكن يريد طعاما . كانت عيناه الصغيرتان عالقتين بصفحة الكتاب الذي في يدي ، بأبيات القصيدة التي كنت أقرؤها . يا للعجب ! هل يحب هذا العصفور الرائع قراءة الشعر مثلي ؟

لم يتركني جاري البلبل أتردد وأفكر طويلا في الموضوع .

لقد فاجأني قائلا :

نحن العصافير ، ولا سيما البلابل ، عاتبون عليكم ، أنتم الكتّاب والشعراء . انكم تدعون صداقتنا ، ولكنكم في الحقيقة مقصرون معنا .. مقصرون كثيرا .. ربما كنتم أقرب الناس الينا . هذا صحيح . ولكن .. لماذا لا تفيدوننا كما نفيدكم ؟ ولا تعطوننا كما نعطيكم ؟

اننا نحب الشعر والموسيقى كما نحب الحدائق والاطفال . ونحن نغرد ونغني لكم منذ أقدم العصور ، ونمتعكم بسقسقتنا وأصواتنا العذبة منذ خيوط الفجر الاولى ، حتى نأوي الى أعشاشنا مع آخر شعاع من أشعة الغروب . ولكنكم لم تعلمونا بيتا واحدا من الشعر حتى الآن .

نحن الطيور نعرف جيدا ان لديكم في هذا البلد ثروة من الشعر الجميل الخالد . الذي يأخذ انشاده بالالباب . وتستهوي معانيه العقول. ولقد حدثنا القدماء من أجدادنا البلابل أن الشعر العربيّ يملك من الموسيقى والنغم ما لا تحلم به حناجر الطيور الموهوبة ، وأصواتها المطربة . لماذا لا تعطوننا كما نعطيكم ؟ وتمتعوننا كما نمتعكم ؟ لماذا ؟..

واحسست يا أعزائي الصغار برعشة تسري في

أوصالي كلها . وأنا أستمع الى جاري البلبل ينهال علي بهذا العتاب الرقيق المؤثر . دون أن يخطر لي على بال ان هذا العصفور الساحر الرشيق سيتكلم ، وان كلماته تستطيع أن تهز المشاعر . وتنفذ الى الاعماق .

وهذا العصفور الساحر الرشيق قليـــلا . كأنما كان ينتظر جوابي . ولكن عينيه الصغيرتين ظلتا تنظران الى صفحة الكتاب المفتوح في لهفة وفضول .

قلت له في صوت خفيض :

أهلا بك أيها البلبل الجميل . أهلا بك أيها الصديق الساحر . لقد عودتنا أن تعطي أجمل ما عندك . دون أن تطالب شيئا مقابل ذلك . عودتنا هذا الكرم حتى نسينا حقك علينا ، أنت ورفاقك العصافير . وحك ظهر يدي بطرف منقاره الحلو الصغير . كأنه يريد أن يعبر عـن سروره بكلماتي . ثم تابعت قائلا :

لم يخطر ببال أحد ، في يوم من الايام . ان البلابل تريد أن تحفظ الشعر ، ولا سيما الشعـر العربي . ان شبابنا وأبناءنا الكبار قد أصبحوا يتقاعسون عـن حفظ قصيدة ، ويهربون منها . وقاطعني جاري البلبل قائلا : عجيب ما أسمع . كيف يهرب الانسان من أجمـل شيء في حياته ؟

قلت : هذا هو الواقع . ولكن شعرنا العربي الجميل يظل ثروتنا ، وزادنا ، ونبض الحياة فينا .

ان عصافيرنا الصغيرة ــ أعني أطفالنا ــ يطالبوننا مثلك بالاناشيد الحلوة ، ليحفظوها ، وينافسوا البلابل بغنائهـا .

ان روحا جديدة تسري في وطننـــا . والامل كل الامل في البراعم الصغيرة القادمة ، يا جاري العزيز .

قال البلبل :

ــ اذن . عدّونا بين الاطفال . وعلموا مثلهم هذه الاناشيد . أليس الاطفال والعصافير من فصيلة واحدة ، وذوق واحد ؟

قلت :

ــ هذا اقتراح رائع يا شاعر الطيـــور الاول . يعجبني فيك هذا الطموح .

ــ أي طموح ؟

ــ طموحك الى تثقيف نفسك ، وتوسيع آفاقك . ستكون شاعر الطيور المثقف الذي يحفظ الشعر الجميل ، ويرويه .

ــ بل أريد أن أعرف شيئـــا عن حياة الشعـراء وأخبارهم . ان حيـاتهم تهمني كما تهمني أشعارهم . وسأنقل ذلك الى رفـــاقي البلابل ، وسنؤلف مدرسة كبرى نسميها : « مدرسة البلابل المثقفة » .

هيا .. نبدأ مشروعنا منذ اليوم .

قلت لصديقي الصغير المتحمس :

ــ ومن قال لك اني لم أبدأ المشروع ؟ انني أكتب للاطفال منذ زمن بعيد . أكتب لهم الاناشيد ، والقصائد ، والمسرحيات الشعرية القصيرة ، والحكايات التي تغنني . لقد اتخذت شعاري :

« دعوا الطفل يغني ، بل غنوا معه أيها الكبار » .

وبدأ الاطفال يغنون بالفعـــل ، ويرددون بسرور ونشوة ما أقـــوله لهم ، وما يقوله غيري من شعرائنـا الموهوبين . في وطننا العربي الكبير . اننا يا صديقـي البلبل نريد أن نبعث أمتنا العظيمة ، نريد ان نبني جيلا جديدا ينفض هذا الواقع المريض الذي نعيش فيـه ، ويغيّر كل شيء . ولذلك بدأنا بالصغار .

وحرك صديقي البلبل رأسه قليلا ، وقفز عـــلى طرف المقعد وقال لي :

ــ أخشى أن تكون قد ابتعدت قليلا عن الموضوع الذي نتحدث فيه .

قلت : بل أنا في صميم الموضوع ، ايهـــا الفريد الاليف .

قال البلبل وقد قفز على ظهر يـــدي ، وهو بادي السرور :

ــ وما مشروعك الجديد ؟

قلت :

ــ سأقدم لك وللاطفال العرب سلسلة من شعرائنا البارزين في أدبنا العربي . أختارهم مـن أجود المواهب وأعمقها تاثيرا في الاجيال القديمة والحديثة على السواء .

قال البلبل وهو يثب حولي فرحا :

ــ عظيم .. عظيم . ومتى تبدأ ؟

قلت : ألم أقل لك منـذ هنيهة اني بدأت ؛ انك سريع النسيان ، يا صديقي الجميل .

ــ وماذا ستسمي هـــذه السلسلة ؟ أعني مـاذا سيكون عنوانها ؟

قلت : ولماذا تهتم بالعنوان ؟

قال : الا تقولون أنتم : ان الكتاب من عنوانه يقرأ ؟ انا ورفاقي العصافير سنحفظ اسم الكتاب ، ونبحث عنه في كل مكان لنتعلم ما فيه مع زملائنا الاطفال .

قلت : سأختار له هذا العنوان البسيط :

« شعراؤنا يقدمون أنفسهم للاطفال » .

قال البلبل : وللطيـــور أيضا . ألم نتفق اننـا والاطفال من فصيلة واحدة . وذوق واحد ؟

أجبت : الحق معك . ولكني منذ اليوم سأسميكم جميعا صغاري الاعزاء . ولن أفرق بين الاطفال والعصافير .

وشعرت بهزة سرور تمشي بين جوانح البلبل الساحر . ثم قال :

ـ أعدك وعدا قاطعا أن أتابع هؤلاء الشعراء الذين ستختارهم ، وأن أحفظ كل كلمة تكتب عنهم .

قلت لصديقي البلبل :

ـ كأننا كنا على موعد . فكرتك هي فكرتي . واحلامك احلامي .

قال : ولكن لي عندك رجاء .

قلت : سانفذ لصديقي ما يريد .

قال شاعر الطيور :

ـ ليكن حديثك عن هؤلاء الشعراء ناعما ، أشبه بعطرات الماء الصافية التي نرشفها . بمناقيرنا الصغيرة من نقرة في صخر .

قلت : سابذل كل ما في وسعي لأحقق لك هذا الرجاء . لقد كان تشبيهك رائعا . واتمنى ان يكون عملي القادم مثله . أو قريبا منه .

وحرك ذنبه الرشيق . ونقر خشب المقعد بمنقاره كانه يقول : اتفقنا .

* * *

وفي هذه اللحظات .. قذف بعض الصغار كرة كانوا يلعبون بها في أرض الحديقة ، فوقعت على المقعد الخشبي الاخضر الذي يضمني أنا وجاري البلبل الجميل . وخاف العصفور الصغير الصدمة ، وفر الى أعلى شجرة من الاشجار المجاورة الباسقة ، وهو يقول مزقزقا :

ـ الى اللقاء .. يا صديقي .. في الجزء الاول من « شعرائنا الذين سيقدمون انفسهم للاطفال وللعصافير . لا تنس الكلمة الاخيرة : « للعصافير » .

قلت : الى اللقاء .. أيها البلبل الساحر المدهش .. الى اللقاء .

* * *

وعدت الى كتابي ..

وتابعت قراءة القصيدة الجميلة فيه .

سليمان العيسى

دمشق : ١٥ حزيران ١٩٧٨ .

الشعراء الذين قدموا أنفسهم للاطفال

١ ـ ابو تمام الطائي
٢ ـ البحتري
٣ ـ أبو الطيب المتنبي
٤ ـ أبو فراس الحمداني
٥ ـ الشريف الرضي
٦ ـ أبو العلاء المعري
٧ ـ ابن زيدون
٨ ـ الفرزدق
٩ ـ جرير
١٠ ـ الاخطل
١١ ـ مالك بن الريب
١٢ ـ حطان بن المعلى
١٣ ـ قطري بن الفجاءة
١٤ ـ الحطيئة
١٥ ـ الخنساء
١٦ ـ حسان بن ثابت
١٧ ـ كعب بن زهير
١٨ ـ طرفة بن العبد
١٩ ـ عمرو بن كلثوم
٢٠ ـ عنترة بن شداد العبسي
٢١ ـ المهلهل
٢٢ ـ زهير بن أبي سلمى
٢٣ ـ امرؤ القيس
٢٤ ـ النابغة الذبياني
٢٥ ـ حاتم الطائي
٢٦ ـ السموأل
٢٧ ـ عروة بن الورد .

* * *

ابو تمام الطائي

اقدم لكم نفسي يا اطفال ..

أنا شاعر معروف من العصر العباسي الاول .

اسمي حبيب بن أوس الطائي . من قبيلة طي التي كان منها حاتم الطائي المشهور بالكرم .

ولدت في قرية « جاسم » ، وهي قرية عربية سورية في حوران . ثم انتقلت الى مصر ، وانا فتى في مطلع العمر . وهناك كافحت كثيرا ، وجالست العلماء والادباء في حلقات المسجد الجامع الذي كان هو المدرسة الكبرى آنذاك ، وأخذت عنهم الادب ، وحفظت الكثير من الشعر العربي .

ثم بدأت أنظم الشعر ، حتى أصبحت من أبرز شعراء زماني . ولكني لم أشتهر في الحقيقة الا عندما رحلت الى بغداد . وكانت بغداد عاصمة النور والحضارة في تلك الايام .

أتصلت بالخليفة العباسي المعتصم ، ومدحته في قصائد عديدة . كما اتصلت بغيره من رجال الدولة من الوزراء والامراء والقواد ، فاكرموني ، ورفعوا مكانتي .

وقد كانت قصيدتي التي تحدثت فيها عن فتح « عمورية » من أروع ما قلت في حياتي من الشعر .

وقصة « عمورية » يا أولادي هي قصة النخوة ، والشهامة العربية .

فقد غزا المعتصم هذه المدينة عندما استنجدت به فتاة عربية وقعت أسيرة في أيدي الروم . فصاحت : « وامعتصماه » ! فلبى الخليفة نداء الفتاة الاسيرة ، وتوجه بجيش عظيم الى « عمورية » . واحتلها ، وأعاد الفتاة الى أهلها .

وفي هذه الحادثة التاريخية كتبت قصيدتي الرائعة التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

واعني في هذا البيت ان الكلمة الاولى للقوة . وأن السيف وحده هو الذي يضع الحد الفاصل بين العمل الجاد . والكلام الفارغ . وقد رمزت هنا بالكتب الى الكلام الفارغ الذي لا طائل وراءه . وعندما تكبرون قليلا يا صغاري ستدرسون هذه القصيدة في المدرسة . وتحفظون بعض أبياتها الجميلة .

قضيت آخر أيامي في مدينة الموصل ، وفيها توفيت . وما يزال قبري هناك . وقد أقاموا لي منذ أعوام قليلة مهرجانا كبيرا تخليدا لذكراي ، اجتمع فيه كثير من شعراء العروبة وأدبائها في القرن العشرين ، وتغنوا بما تركت لكم من آثار . فشكرا لهم جميعا .

لي ديوان شعر ضخم . فيه قصائد كثيرة تتحدث عن البطولة والكرم . وتصف الطبيعة الجميلة . وتتغنى بالقيم والاخلاق العربية .

وقد جمعت من محفوظاتي ديوانا آخر سميته « الحماسة » ، أرجو أن تطلعوا عليه ، وتستمتعوا به ، وتحفظوا منه بعض الاشعار الممتازة .

انني أطل عليكم بعد أكثر من الف عام مضت . وسأبقى صديقكم يا صغاري الاعزاء ..

سأترك لكم في نهاية لقائنا هذه الهدية الصغيرة من شعري ، أسجل فيها بعض مآثر الاجداد ، وأرسم صورة مشرقة لهم .

احفظوا هذه الابيات الجميلة يا اولاد :

انا ابن الذين استرضع الجود فيهمو
وسمّي فيهم ، وهو كهل ويافع (١)

سما بي أوس في السماح ، وحاتم
وزيد القنا ، والأثرمان ، ونافع (٢)

مضوا وكان المكرمات لديهمو
لكثرة ما أوصوا بهنّ شرائع (٣)

فاي يد في المحل مدت فلم يكن
لها راحة من جودهم وأصابع ؟

بهاليل ، لو عاينت فيض أكفهم
لأيقنت ان الرزق في الارض واسع (٥)

اذا خفقت بالبذل أرواح جودهم
حداها الندى واستنشقتها المطامع (٦)

رياح كريح العنبر الغضّ في الندى
ولكنها يوم اللقاء زعازع (٧)

الحواشي

(١) الجود : الكرم . اليافع : الفتى في أول العمر . والكهل : الذي جاوز الاربعين. يشبه الشاعر الكرم بانسان نشأ وعاش بين قومه.

(٢) في هذا البيت يستعرض الشاعر بعض الاسماء اللامعة في تاريخ قبيلته المشهورة .

(٣) لقد كانت المكارم أصيلة فيهم يتواصون بها ، ويحرصون عليها كانها شرائع مقدسة .

(٤) يقول الشاعر : لا تمتد يد للكرم في أيام القحط والجدب الا كانت هذه اليد يد آبائي .

(٥) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير ، ما يزال يصف قومه بالكرم .

(٦) اذا تحركت رياح كرمهم ساقها العطاء وراحت تتنشقها مطامع المحتاجين .

(٧) انها رياح عاطرة أيام السلم والعطاء ، ولكنها سرعان ما تتحول الى عواصف كاسحة عند لقاء الاعداء .